من أجل ان تتعزز الثقة وتتوطد علاقات التحالف بين أطراف الجبهة الوطنية التقدمية القومية العراقية

"كانت صحيفة "الثورة" العراقية شبه الرسمية قد وجهت اتهامات للحزب الشيوعي العراقي، في معرض تبريرها لجريمة اعدام ٢١ عسكريا عراقيا، وقد تضمنت هذه الاتهامات تشويهات متعمدة لموقف الحزب الشيوعي العراقي من التحالف. وفيما يلي ننشر المقال الافتتاحي لطريق الشعب الناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي والذي نشر في اعقاب ظهور تلك الاتهامات. «الطليعة»

تمثل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية احد ابرز مكتسبات شعبنا الثورية وثمرة عزيزة لكفاح قواه الوطنية والتقدمية منذ سنين طويلة. وهذا ما اجمعت عليه جماهير شعبنا وسائر القوى التقدمية العربية والعالمية.

لقد جسد ميلاد الجبهة الوطنية في قطرنا في تموز ١٩٧٣ نقطة تحول كبرى في علاقة حزبنا بحزب البعث العربي الاشتراكي، بوجه خاص وباتجاه تصفية جميع الصفحات المؤلمة الماضية، والانطلاق في دروب العمل الرفاقي، والكفاح المشترك والمسؤولية الموحدة، من اجل تعميق وتطوير مسيرتنا الثورية، وارساء التحالف على اسس متينة وذات طابع استراتيجي.

وبالاستناد الى ظروف قطرنا الملموسة والخصائص النوعية لتطوره السياسي والاجتماعي - والاقتصادي، جرى التوصل بين حزبنا وحزب البعث العربي الاشتراكي، الى ميثاق العمل الوطني باعتباره برنامجا مشتركا لقوى الجبهة، يعكس نقاط الالتقاء والعمل الموحد بينها، حول طائفة اساسية من قضايا التطور التقدمي لبلادنا. كما ابرمت قواعد العمل في الجبهة لتنظيم العلاقة بين الاطراف المؤتلفة وتوجه عملها المشترك في اطار اهداف ميثاق العمل الوطني وعلى اساس احترام الاستقلال السياسي والتنظيمي والايديولوجي لكل حزب. لقد اثبتت الحياة، واكدت تجارب العمل، خلال السنوات الماضية، الاهمية الفائقة لهذه الاسس والمنطلقات، التي احتواها ميثاق العمل الوطني، وقواعد العمل في الجبهة والتي ما زالت تتمتع بصحتها وحيويتها.

ونحن اذ نستقبل، باعتزاز، الذكرى العشرين لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والذكرى العاشرة لثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ والذكرى الخامسة لميلاد الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، ندرك اكثر من اي وقت مضى مسؤولية حزبنا وحزب البعث العربي الاشتراكي وبقية اطراف الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، واهمية التزاماتها ازاء حماية التحالف الوطني وتطويره، ونحو تعميق وترسيخ التجربة الثورية لقطرنا. وانطلاقا من ذلك وفي اعقاب احداث مفجعة واتهامات معينة، نجد انفسنا ملزمين ان نلقي الضوء على بعض جوانب سياسة حزبنا التي جرى التعرض لها، بهذا الشكل، او ذاك، مهتدين في ذلك، بقواعد الحوار الهادف والبناء، باعتباره احدى الطرق السليمة والجدية التي من شأنها ان تؤدي الى ازالة الالتباسات وسوء الفهم وتعزز التقارب في وجهات النظر وتخلق قناعات مشتركة بين اطراف الجبهة الوطنية، ودون ان تؤثر هذه الاحداث والاتهامات على نظرتنا الموضوعية ونهجنا السياسي المسؤول، ازاء المسيرة التقدمية لقطرنا ومستلزمات تطوير التحالف الوطني القائم.

لقد جرى التحذير، وفي جو غير مفهوم وملابسات سياسية [illegible] والانفراد به عن طريق الغدر. ان الجميع يعرفون ما بذله الحزب الشيوعي من جهود متواصلة ومضنية، لتوفير المناخ الملائم على الصعيدين الحزبي الداخلي والشعبي، وتوفير المستلزمات الاولية لقيام الجبهة الوطنية، ومن اجل الوصول الى تكوين علاقات تحالف نضالية مع حزب البعث العربي الاشتراكي، ابتداء من تموز ١٩٦٨ وحتى لحظة اعلان الجبهة في ١٧ تموز ١٩٧٣.

وحتى في الايام التي كان الشيوعيون يتعرضون فيها الى العديد من الملاحقات لم يغب عن فكر الحزب الشيوعي ان يؤكد، من على منبر مؤتمره الوطني الثاني، في ايلول عام ١٩٧٠:

"ان سياسة التعاون الوطني والجبهة الموحدة، بالنسبة لنا نحن الشيوعيين، ليست تكتيكا سياسيا عابرا نلجأ اليه لاغراض دعائية، او المناورة من اجل بعض المكاسب الوقتية. وانما هي نابعة من ايمان عميق بضرورة وامكانية حشد كل الطاقات الوطنية في اطار تحالف سياسي متين يأخذ على عاتقه انجاز مهام الثورة الوطنية الديموقراطية".

ومنذ اقامة الجبهة وحتى يومنا هذا لم ندخر جهدا او طاقة الا وبذلناها، على جميع الاصعدة وفي مختلف الاتجاهات، من اجل تعزيز وتعميق مسيرة التحالف الجبهوي بين الحزبين المتحالفين وسائر القوى الوطنية المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، ومن اجل بناء عرقنا التقدمي الجديد، رغم المعوقات والسلبيات التي كانت تعرقل جهودنا.

ان مسالة تعزيز وتعميق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية وتوطيد المسيرة الثورية لقطرنا، قد اصبحت الشغل الشاغل والحلقة المركزية في سياسة وعمل الحزب الشيوعي ومنظماته واعضائه واصدقائه منذ انبثاقها ، ولحد اليوم.

وان سمعة العراق وقواه الوطنية، ومكانة حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي، قد ارتفعتا منذ اعلان قيام الجبهة، في اوساط القوى التقدمية العربية والعالمية اضعافا مضاعفة.

ويربي الحزب الشيوعي، بدأب واخلاص، سواء في صحافته او في مجمل نشاطه الايديولوجي والسياسي جميع اعضائه ومؤازريه واصدقائه بروح المحبة والتآلف بين اطراف الحركة الوطنية، وتمتين روابط التحالف الكفاحي مع اعضاء وجماهير حزب البعث العربي الاشتراكي، املا منه بفتح افاق ارحب للتطور اللاحق للعمل الجبهوي، وحرصا على الا تتعرض مسيرة التحالف الكفاحي الى نكسة او مواجهة او صدام بين الاطراف المتحالفة. ان حزبا بذل كل هذه المساعي والجهود في سبيل ان تظل راية الجبهة الوطنية عالية في سماء العراق، ان حزبا هذا وضعه ونضاله ومبادؤه، لا يمكن ان ينسف ما بناه بيديه، وربى [illegible] للوثوب الى السلطة منفردا، عن طريق الغدر وطعن حلفاء النضال من الخلف.

لقد تعرضنا نحن الشيوعيين العراقيين على مر تاريخنا النضالي الى الاتهام بنعوت واوصاف شتى. الا اننا ولاول مرة نسمع ان الشيوعيين انما يلجأون لاساليب المناورة والخديعة والغدر مع حلفائهم ورفاقهم في النضال، ومع حزب البعث العربي الاشتراكي بالذات، وانهم يحاولون - من خلال الكلام المعسول وباداء العواطف - القفز الى السلطة والانفراد بها بانقلاب عسكري.

هل يتفق هذا الاتهام مع تاريخ العلاقة بين الحزب الشيوعي العراقي وحزبه البعث العربي الاشتراكي، وسلوك الشيوعيين، لا في فترة تكوين جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧ فحسب، وانما ايضا في احدى اخطر فترات تاريخ شعبنا المعاصرة، وهي الفترة التي سبقت قيام ثورة ١٧ تموز باسابيع، عندما اخبرت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي حزبنا الشيوعي، بان حزب البعث بتهيأ للقيام بحركة مسلحة تستهدف الاطاحة بنظام الحكم العارفي الرجعي واقامة نظام حكم تقدمي؟

ان الحزب الشيوعي العراقي اذ تمنى النجاح والتوفيق لهذه الحركة، فانه كان ينظر الى الافق البعيد لها بمنظار التفاءل الثوري، رغم ما كان يكتنف العلاقات بين الحزبين، في تلك الفترة من تطيعة. ولم ينظر الحزب اليها من زاوية التنافس الحزبي الضيق. علما بان الحزب الشيوعي كان يخوض النضال من اجل اسقاط السلطة الدكتاتورية.

ما كان منطلقنا الغدر يوما ما، ولن يكون، في علاقتنا وتحالفاتنا مع القوى الثورية الاخرى، ولذلك بالذات اسهم حزبنا ورفاقنا بقسطهم في كشف واحباط عدد من النشاطات المشبوهة والمؤامرات التي استهدفت سلطة حزب البعث العربي الاشتراكي حتى قبل قيام الجبهة. ولذلك ايضا استبسل الشيوعيون في معارك التصدي لحركة التمرد الرجعية في كردستان، واختلطت دماؤهم بدماء البعثيين وكل المناضلين الوطنيين دفاعا عن استقلال العراق وسلطته التقدمية.

اما فيما يخص مسالة التلاحم والتفاعل في اطار الجبهة الوطنية التقدمية والقومية التقدمية وميثاق العمل الوطني، فان الشيوعيين كانوا وما زالوا يعتبرون نشاطهم جزءا من التجربة الثورية الجارية في القطر. واكد في هذا الصدد تقرير اللجنة المركزية الصادر عن اجتماعها المنعقد في شباط ١٩٧٧:

"ان التسلح بالنظرة البناءة للعمل الجبهوي واناته من شانه ان يسهم في تحقيق التفاعل بين قوى الجبهة وتجاوز الصيغ والممارسات الخاطئة في العلاقات بين الشيوعيين والبعثيين التي تضعهم في مواقع متقابلة، وتنمية الشعور المشترك بكونهم جميعا يقاتلون في خندق واحد ضد اعداء الثورة من امبرياليين وصهاينة ورجعيين. واذا كان التفاعل الايجابي المبني على اساس المسؤولية المشتركة والتصور المشترك حول المستقبل في بلادنا يشكل ضرورة تاريخية تضع الشيوعيين والبعثيين وسائر [illegible] والسير نحو بناء الاشتراكية، فان تحقيق هذا التفاعل بين القوى الثورية، بشكل طبيعي، يستلزم فيما يستلزم، تحويل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية الى قوة سياسية فعالة لتعبئة وتحريك الجماهير الكادحة في النضال لانجاز تلك المهمات، عبر التوسع اكثر فاكثر في اطلاق طلقات الجماهير الخلاقة، ومشاركتها الفعالة في عملية البناء والتقدم، من خلال المؤسسات الديموقراطية الجماهيرية، وتوسيع ميادين العمل الجماهيري المشترك، والمباشرة باقامة المؤسسات الدستورية، وارساء السلطة الوطنية التقدمية على قاعدة ديموقراطية دستورية وتوطيد الحكم الذاتي".

لقد قبل حزبنا ان "تتولى قيادة الثورة وحدها مسؤولية تامين" شروط "وحدة الجيش وكل القوات المسلحة الوطنية والتفافها الراسخ حول الثورة . ومبادئها وقيادتها، والتزامها الثابت، بالدفاع عنها وعن مكتسبات الشعب ضد اي شكل من اشكال العدوان او التامر والتخريب" كما نص على ذلك ميثاق العمل الوطني. ولم نخرق هذا الالتزام، واتخذ الحزب الاجراءات الكفيلة بتجنب اعضائه ومنظماته القيام باي نشاط حزبي في صفوف القوات المسلحة وقد برهن الحزب واعضاؤه على حرصهم والتزامهم الصادق بالتوجيهات الصادرة اليهم بهذا الشان، وهي توجيهات سبق لقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، ان اطلعت عليها. كما جرى بحث الموضوع في اللقاءات الثنائية بين ممثلي الطرفين مرات عديدة. وتم التوصل بشانه الى تفاهم مشترك.

ان الشك امر مشروع وضروري، ولكن على ان يكون موجها الى تحركات الاعداء من امبرياليين ورجعيين حاقدين، والى نشاطاتهم المريبة. وحتى الى "كلامهم المعسول" وليس الى اصدقاء مجربين في معارك الكفاح المشترك وفي الايام الصعبة.

اما ما يجري اعتباره كلاما معسولا نردده، نحن الشيوعيين، فليس في الواقع الا جوهر سياستنا ونهجنا الفعليين وفيما عداه لا نملك شيئا نخفيه سواء عن البعثيين او عن انظار شعبنا. وان من يزرعون الشك والريبة بين الشيوعيين والبعثيين لا يريدون الخير لهم ولنا، ولشعبنا، وامتنا... انهم يتطلعون الى اليوم الذي يرتصون فيه على اشلائنا جميعا ويكملون فرحتهم في مأتم الشعب.

كلمة اخرى بودنا التاكيد عليها مجددا، وهي ان للحزب الشيوعي العراقي سياسة واحدة صاغها وطورها بجهد جماعي، في مؤتمراته الوطنية واجتماعات لجنته المركزية وعمله اليومي، ونشرها في وثائقه وصحافته . والحلقة المركزية في هذه السياسة هي موضوعة التحالف الوطني وتطوير الجبهة الوطنية والقومية التقدمية. وقد جاء اختيار شعار "من اجل توطيد وتعميق المسيرة الثورية وتوجه العراق نحو الاشتراكية" شعارا اساسيا لمؤتمره الوطني الثالث منسجما كل الانسجام مع روح واعمال المؤتمر وسياسة الحزب في السنوات التي [illegible]

الماضي تقريرها المعنون "[illegible] التحالف الوطني وتعميق المسيرة الثورية مهمة كل قوى الشعب التقدمية". وان ما تضمنته التقرير من نقد بناء هادئ لجوانب مسيرتنا، انما يستهدف تخليصها من كل ما يعيق انطلاقها بزخم فعال، وما يعرقل تطور التحالف الوطني وتعميق المسيرة. ذلك ان الشيوعيين كما اكد الحزب نفسه، يعتبرون نشاطهم وان جزءا من التجربة الثورية التي يخوضها القطر، ويحرصون على الحرص على اغنائها وتعميقها والاسهام الجاد في التغلب للمصاعب التي تواجهها بالتفاعل مع حزب البعث العربي الاشتراكي وسائر القوى الوطنية والتقدمية. ومن هنا منبع الحرص على ان يقولوا كلمتهم بصراحة وان يبدوا ويقدموا الاقتراحات والحلول والمعالجات لكل ما يعتقدون بحاجة الى حل او معالجة.

واذا كانت بعض وجهات الشيوعيين ليست موضع [illegible] لدى حلفائهم ، او هي معطلة فليس هناك من سبيل آخر لمعالجة مثل هذه الحالات، سواء النظام الداخلي وقواعد العمل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية عندما نص على ان "يعالج" خلاف قد يطرأ بين اطراف الجبهة باسلوب المناقشات الديموقراطية وتصحيح الاخطاء عن طريق النقد والنقد الذاتي الاخوي والبناء، ومن منطلق الحرص على تعزيز التحالف وترسيخه"، وعلى اساس التمسك بميثاق العمل الوطني نصا وروحا، باعتباره البرنامج المشترك لكل قوى شعبنا الوطنية والقومية التقدمية.

ان عراقنا الحبيب وكذلك شعبنا كلها وسلطته الوطنية والجبهة الوطنية والقومية التقدمية، ان ذلك كله هو الهدف مباشر من اهداف التآمر الامبريالي - الصهيوني - الرجعي. ذلك الخطر الماثل الذي يتربص هذه الايام وبالدرجة الاولى باساليب الدس والوتيرة من اجل تصدع عرى الجبهة الوطنية، وتوجه قواها بمعارك جانبية تستنفد طاقاتها وتحرفها عن كفاحها الاساسي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية.

فلنكن، جميعا، على [illegible] ولنستعد، بمزيد من اليقظة والحرص، الدرس الكبير الذي استخلصناه بصورة مشتركة من تجاربنا المرة السابقة، الذي دفعنا كلنا ثمن اغفالنا له، الدروس من الدماء والتضحيات الغالية هذا الدرس الذي ثبته ميثاق العمل الوطني بوضوح، عندما نص على "ان من ابرز اسباب قدرة الحركة الثورية في الوطن العربي على تحقيق النصر، وعيها لدور التحالف المشترك والتحالف بين قواها كما ان من ابرز اسباب هزائمها ونكساتها نزوع فصائلها الى تغليب التناقضات الثانوية فيما بينها، على التناقض الرئيسي القائم بينها من جهة، وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية من جهة اخرى".

لقد بذل الشيوعيون العراقيون، ويبذلون في المستقبل ايضا، جهودهم من اجل صيانة المسيرة وانجاحها، وهم على ثقة مطلقة بان هذه الجهود ستفعل فعلها بطاقات [illegible] عندما تلتقي وتتوحد، بصورة اكثر فاعلية، بجهود البعثيين وسائر قوى الجبهة الوطنية والقومية التقدمية [illegible]